

المحاضرة العشرون

المنهج العلمي

هو التفسير الذى يُحْكَمُ الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجهتد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها ، او هو " اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به اعجاز للقران

موقف العلماء من التفسير العلمي

انقسم العلماء قديما وحديثا تجاه التفسير العلمي الى فريقين

الفريق لأول : اجاز التفسير العلمي

الفريق الثاني :منع التفسير العلمي

الفريق لأول : اجاز التفسير العلمي

ومن القائلين به قديما الغزالي (ت:٥٠٥)على راس القرن الخامس ، وهو من اوائل المتكلمين به

وفي القرن السادس الامام فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦) فقال " وربما جاء بعض الجهال والمحمقى وقال إنك أكثر في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم وذلك على خلاف المعتاد فيقال لهذا المسكين إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته وتقريره من وجوه الأول أن الله تعالى ملاً كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض وتعاقب الليل والنهار وكيفية أحوال الضياء والظلام وأحوال الشمس والقمر والنجوم وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزاً لما ملاً الله كتابه منها والثاني أنه تعالى قال أَوَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (

وقال في موطن اخر " أن القرآن أصل العلوم كلها فعلم الكلام كله في القرآن ، وعلم الفقه كله مأخوذ من القرآن ، وكذا علم أصول الفقه. وعلم النحو واللغة ، وعلم الزهد في الدنيا وأخبار الآخرة ، واستعمال مكارم الأخلاق " ، وقد رد ابو حيان على الرازي لأنه أكثر من التفسير العلمي فقال " فهو من التخليط والتخبيط في أقصى الدرجة"

اما ابو الفضل المرسي (ت:٦٥٥) فقد نقل عنه السيوطي قوله عن القرآن " قد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك أما الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام

القوة " ، الهندسة ففي قوله: {اطْلِفُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ} الآية. وأما النجامة ففي قوله: {أَوْ أَتَارَةَ مِنْ عِلْمٍ} فقد فسره بذلك ابن عباس. وفيه أصول الصنائع وأسما الآلات التي تدعو الضرورة إليها كالخياطة في قوله: {وَوَطْفَقًا يَخْصِفَانِ} والحدادة {آتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ} ؛ {وَأَلْتَأْتَاهُ الْحَدِيدُ} الآية والبناء في آيات والغزل {نَقَصْتُ غَزْلَهَا} والنسج {كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا} والفلاحة {أَفْرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ} الآيات والصيد في آيات والغوص {كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ} {وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبِيَّةً} والصباعة {وَاتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا} والزجاجة {صَرَخَ مُرَمِّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ} {الْمُصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ} والفخارة {فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ} والملاحة {أَمَّا الشَّفِينَةُ} الآية والكتابة {عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} والخبز {أَحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا} والطبخ {بِعِجْلِ حَنِيذٍ} والغسل والقصارة {وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ} قال الحواريون: وهم القصارون والجزارة {لَا مَا ذَكَّيْتُمْ} والنجارة {وَأَضَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا} والبيع والشراء في آيات والصنع {صَبَّغَةَ اللَّهُ} ؛ {جَدَّدَ بَيْضَ وَحُمْرَ} والحجارة {وَتُنَجِّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا} والكيالة والوزن في آيات والرمي {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ} ، {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات وجميع ما وقع ويقع في الكائنات ما يحقق معنى قوله: {مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} انتهى كلام المرسي ملخصا. وقال ابن سرافقة: من بعض وجوه إعجاز القرآن ما ذكر الله فيه من أعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب والموافقة والتأليف والمناسبة والتنصيف والمضاعفة ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أنه صلى الله عليه وسلم صادق في قوله وأن القرآن ليس من عنده إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة ولا تلقى الحساب وأهل الهندسة.

وفي القرن الثامن ظهر الزركشي (ت: ٧٩٤) حيث عقد فصلا في كتابه عنوانه فصل في القرآن علم الأولين والآخرين

اما جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١) فقد عقد فصلا بعنوان " في العلوم المستنبطة من القرآن " واستدل على قوله بالتفسير العلمي بقوله تعالى : {مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} وقال: {وَوَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكَلِّ شَيْءٍ} ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ستكون فتن" قيل: وما المخرج منها؟ قال: "كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم" أخرجه الترمذي وغيره. وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال: "من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين" قال: البيهقي: يعني أصول العلم"

وحكى ابن سرافقة في كتاب الإعجاز عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال يوما: ما شيء في العالم إلا وهو في كتاب الله ف قيل له فأين ذكر الخانات فيه؟ فقال في قوله: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ} فهي الخانات. وقال ابن برجان: ما قال النبي صلى الله عليه وسلم من شيء فهو في القرآن به أو فيه أصله قرب أو بعد فهمه من فهمه وعمه عنه من عمه وكذا كل ما حكم به أو قضى وإنما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده وبذل وسعه ومقدار فهمه.

ومن الذين اجازوا التفسير العلمي من المفسرين والعلماء المعاصرين

- ١- البيضاوي (ت ٦٩١هـ) في: تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل.
- ٢- نظام الدين النيسابوري (ت ٧٢٨هـ) في: غرائب القرآن ورجائب الفرقان ،
- ٣- محمود شكري الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) في: روح المعاني وكتابه الآخر: ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القوية البرهان.
- ٤- وطظاوي جوهرى (ت ١٣٥٨هـ) في: الجواهر في تفسير القرآن الكريم، والقرآن والعلوم العصرية.
- ٥- محمد أحمد الاسكندراني في ((كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية)). و((تبيان الأسرار الربانية في النباتات والمعادن والخواص الحيوانية
- ٦- عبدالله باشا فكري. في رسالته في مقارنة بعض مباحث البيئة بالوارد في النصوص الشرعية
- ٧- إبراهيم فصيح - الشهير بجيدري زاده البغدادي. في رسالته في تطبيق الهيئة الجديدة الآثار على بعض الآيات الشريفة وبعض الأخبار.
- ٨- أحمد مختار باشا الغازي
- ٩- محمد توفيق صدقي. في محاضراته في سنن الكائنات.
- ١٠- عبدالرحمن الكوكبي. في: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد.
- ١١- محمد فريد وجدي. في: الإسلام دين الهداية والإصلاح.
- ١٢- مصطفى صادق الرافعي. في: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.
- ١٣- جمال الدين القاسمي. في: محاسن التأويل.
- ١٤- محمد عبده. في: تفسير جزء عم. وتفسير المنار.
- ١٥- عبدالحميد بن باديس. في: مجالس التذكير من كلام الحكم الخبير.
- ١٦- د. عبدالعزيز إسماعيل. في: الإسلام والطب الحديث.
- ١٧- عبدالرزاق نوفل. في: القرآن والعلم الحديث. وغيره من مؤلفاته.
- ١٨- محمد أحمد الغمراوي. في: الإسلام في عصر العلم.
- ١٩- حنفي أحمد. في: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن.
- ٢٠- محمود أبو الفيض المنوفي. في: القرآن والعلوم الحديثة.

- ٢١- الشيخ محمد متولي الشعراوي. في: معجزة القرآن.
- ٢٢- د. محمد عبدالله دراز. في: مدخل إلى القرآن الكريم.
- ٢٣- جمال الدين عيتاد. في: بحوث في تفسير القرآن، وقدرة الله مظاهرها من العلم الحديث.
- ٢٤- د. مصطفى مسلم في: مباحث في إعجاز القرآن.
- ٢٥- عبدالعزيز بن خلف آل خلف في: دليل المستفيد في كل مستحدث جديد.
- ٢٦- د. منصور حسب النبي. في: الكون والإعجاز العلمي للقرآن.
- ٢٧- د. البشير التركي في: لله العلم.
- ٢٨- محمد عبدالحليم أبو زيد في: مجلة الأزهر (المجلد ١٨/١٥٦٠).
- ٢٩- د. عبدالله شحاته في: تفسير الآيات الكونية.
- ٣٠- أحمد جبالية في: القرآن وعلم الفلك.
- ٣١- د. محمود ناظم نسيمي في: مع الطب في القرآن الكريم.
- ٣٢- محمد وفاء الأميري في: آيات الله.
- ٣٣- د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر في: الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن، المنهج الإيماني دراسات الكونية، وهندسة النظام الكوني في القرآن.
- ٣٤- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في: التحرير والتنوير.
- ٣٥- د. عبدالغني عبود في: الإسلام والكون.
- ٣٦- الشيخ حسن البناء. في: مقدمة في التفسير مع تفسير الفاتحة وأوائل سورة البقرة.
- ٣٧- د. فهد بن عبدالرحمن الرومي. في: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري.
- ٣٨- الشيخ عبدالقاهر داود العاني في: دراسات في علوم القرآن.
- ٣٩- محمد صادق عرجون. في: نحو منهج لتفسير القرآن.
- ٤٠- محمد أبو زهرة. في: المعجزة الكبرى، القرآن.
- ٤١- د. محمد سعيد رمضان البوطي. في: مقال في مجلة العربي عدد/ ٢٤٦ عام ١٣٩٩هـ.
- ٤٢- عبدالله بن عبدالله الأهدل. في: التفسير العلمي للقرآن الكريم. دراسة وتقييم

- ٤٣- هند شلبي. في: التفسير العلمي للقرآن بين النظريات والتطبيقات.
- ٤٤- نعمت صدقي. في: معجزة القرآن.
- ٤٥- ومنهم الشيخ عبدالمجيد الزنداني في مؤلفاته ومحاضراته والدكتور محمد علي البار في أبحاثه ودراساته.

الفريق الثاني: المانعون للتفسير العلمي

الشاطبي (ت: ٧٩٠) فقال " أن كثيرًا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين، من علوم الطبيعيات، والتعاليم، والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظر من هذه الفنون وأشباهاها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح، "

ابرز العلماء المعاصرين الذين انكروا التفسير العلمي

- ١- الدكتور امين الخولي في مقاله بدائرة المعارف الاسلامية
- ٢- الاستاذ عباس العقاد في كتابه الفلسفة القرآنية
- ٣- والشيخ محمود شلتوت في تفسيره
- ٤- والدكتورة عائشة عبد الرحمن في كتابها القرآن والتفسير العصري
- ٥- وسيد قطب في تفسيره (واني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها .. كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه! إن القرآن كتاب كامل في موضوعه، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها
- ٦- محمد عزة دروزة. في: التفسير الحديث.
- ٧- شوقي ضيف. في: تفسير سورة الرحمن وسور قصار.
- ٨- محمد رشيد رضا في: تفسير المنار.
- ٩- محمد كامل حسين. في: الذكر الحكيم.
- ١٠- صبحي الصالح. في: معالم الشريعة الإسلامية.
- ١١- أحمد محمد جمال. في كتابه: على مائدة القرآن مع المفسرين والكتاب.

١٢- عبدالمجيد المحتسب. في: اتجاهات التفسير في العصر الراهن. فقال " ولا اوافق الذين يستخرجون النظريات العلمية من الآيات القرآنية ، لان القرآن الكريم ليس كتاب علم مثل الكيمياء ، والذرة ، والهندسة ، والفيزياء ، وانما هو كتاب انزله الله تعالى على رسوله ليكون هدى ورحمة للناس هو كتاب الاسلام الذي يشتمل على العقيدة الاسلامية التي ينبثق عنها نظام ينظم علاقة الانسان بخالقه (العبادات) وينظم علاقة الانسان بنفسه (المطعمات ، والملبوسات) وعلاقة بغيره من بني الانسان (المعاملات) "

١٣- أحمد الشرباصي. في: قصة التفسير.

١٤- ومحمد ابو زهرة فبعد ان ذكر قول الغزالي قال " يجب أن يلاحظ أمران :

أولها : ألا تفسر الآيات الكريمات بنظريات وفروض لم يعم الدليل القاطع عليها ، وقد تتغير العلوم الكونية بتغير النظريات حولها وقتا بعد آخر ، ولا يصح أن يفسر القرآن بنظريات قابلة للنقض والتغير. إنه كتاب الله تعالى لا تبدل لكلماته ، وهو العزيز الحكيم ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثانيها : ألا يكون الاتجاه إلى تحميل الالفاظ فوق ما تحتمل ، فلا تجهد الآيات إجمادا ليطبقوها على الحقائق أو ليطبقوا الحقائق عليها ، بل لا يفكر أهل الخبرة في أسرار الآيات إلا ما يكون ظاهرا واضحا كما رأينا في الآيات التي تليت ، ويكون عمل الخبير العلمي تصويرها من غير إجماد لألفاظها ، أو تحميلها ما لا تحتمل ، وإن الأخذ بهذا المنهج السليم فيه بيان للقرآن الكريم ، وصيانة له ، وبعد به عن مواطن الشبهات"

الراجح

لا يخفى على احد ان كتاب الله تعالى حوى بين دفتيه آيات عديدة تتعلق بالعلم وظهرت تفاسير جلية مع التقدم العلمي للبشرية وقد وقف علماء السلف بين معارض ومؤيد للخوض في الآيات فيرى الاولون ان ذلك يحدث اثرا سلبيا على كلام الله في مستقبل الايام بينما يرى الآخرون ان ذلك يعزز اعجاز القران برفاد لا ينبغي اغفاله بحال من الاحوال وحتى لا نطيل نرى ان الراجح في هذه المسألة جواز التفسير العلمي بشروط نذكر منها

١- ألا تطغى تلك المباحث عن المقصود الأول من القرآن الكريم، وهو الهداية والإعجاز.

٢- أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة، ويلفتهم إلى جلال القرآن الكريم، ويجرهم إلى الانتفاع بقوى هذا الكون العظيم - الذي سخره الله لنا - انتفاعا يعيد لأمة الإسلام مجدها.

٣- أن تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم، والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها.

٤- أن لا تذكر هذه الأبحاث على أنها هي التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه، بل تذكر لتوسيع المدلول، وللاستشهاد بها على وجه لا يؤثر بطلانها فيما بعد على فداسة النص القرآني، ذلك أن تفسير النص القرآني بنظرية قابلة للتغيير والإبطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية في أذهان الناس، كلما تعرضت نظرية للرد أو البطلان.

٥- ان يكون الكلام في الحقائق العلمية الثابتة التي لا تقبل الشك وعدم الحقام النظريات التي سرعان ما تتغير